

سياسة أمريكا الخارجية والقوى المشاركة في صنعها

8. قوى الضغط الخاصة (اللوبي)

د. محمد عبد العزيز ربيع

كان من النتائج الهامة للمشاركة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى تنامي مصالح أمريكا الخارجية، خاصة الاقتصادية والتجارية والنفطية منها. وحيث أن المصالح الاقتصادية ترتبط عادة بشركات وقطاعات صناعية ومؤسسات مالية وتجارية دون غيرها، فإن أصحاب تلك المصالح قاموا بتشكيل منظمات متخصصة بهدف الضغط على صانع القرار السياسي وحثه على تبني سياسات خارجية تتجاوب مع مصالحهم وتخدم أهدافهم. وتقوم منظمات اللوبي عادة بمحاولة إقناع صانع القرار في البيت الأبيض والكونجرس وغيرها من مؤسسات حكومية بوجهة نظرها، وذلك من خلال اللجوء لساسة الجزرة والعصا... جزرة الترغيب وعصا الترهيب. وتتم عملية الترغيب عادة من خلال قيام اللوبي المعني بدعم الحملات الانتخابية للرئيس وأعضاء الكونجرس وتقديم الرشوات المالية للمسؤولين. أما الترهيب فيتم من خلال الوقوف ضد غير المتعاونين، وتأليب الرأي العام ضدهم، والعمل على نسف السياسات التي تتعارض مع مصالحهم. وبسبب طبيعة تكوينها ومحدودية أهدافها وضخامة الموارد المالية المتوفرة لها، أصبحت تلك المجموعات من أهم القوى المؤثرة في توجيه سياسة أمريكا الخارجية.

قامت كبرى شركات البترول الأمريكية في أوائل القرن الماضي بتجميع قواها وتكوين لوبي خاص للدفاع عن مصالحها، وعرض وجهة نظرها تجاه القضايا المتعلقة بصناعة وتجارة النفط. ولقد جاء ذلك نتيجة لقيام الحكومة البريطانية بمحاولة حرمان شركات النفط الأمريكية من امتيازات التنقيب عن البترول في منطقة الشرق الأوسط. وبسبب قناعة الحكومة الأمريكية بأهمية البترول بالنسبة لمصالحها الحيوية، فإنها مارست الضغط على الحكومة البريطانية وأرغمتها على فتح المجال أمام الشركات الأمريكية للمشاركة في الامتيازات البترولية الخليجية. ولقد تبع ذلك توجه أمريكا إلى الاهتمام بالبلاد العربية، واتجاه العرب إلى الاهتمام بأمريكا، مما تسبب في تنامي العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين.

من ناحية أخرى، قامت تلك الشركات في أوائل الخمسينات بالضغط على الحكومة الأمريكية للحد من واردات النفط، وذلك بسبب رخص تكلفة الإنتاج في البلاد الأجنبية مقارنة بتكلفة الإنتاج في

أمريكا. ومما تجدر الإشارة إليه أن أمريكا كانت، وحتى أواخر الخمسينات من القرن الماضي، من بين الدول المصدرة للنفط. وبالفعل، قام الرئيس أيزنهاور بتنظيم عمليات الاستيراد وتحديد الكميات المستوردة، وإقرار نظام خاص لإصدار رخص الاستيراد وتوزيعها بين الشركات ومصافي البترول المختلفة. ولقد نتج عن ذلك خلق سوق للتجارة في رخص الاستيراد، وتمكين شركات البترول الأمريكية من احتكار السوق الأمريكي وتجنب المنافسة في السوق العالمية. وهذا تسبب بدوره في حدوث فائض في إنتاج النفط العالمي وانخفاض أسعاره إلى مستويات متدنية، وحرمان الدول العربية المصدرة من الحصول على عائد مناسب لمنتجاتها البترولية. ويمكن القول باختصار أن اللوبي البترولي حاول ونجح في إقناع الحكومة الأمريكية بأن مصالح الجهتين واحدة، وأن ما يخدم أهداف الشركات البترولية يخدم أهداف أمريكا ويحمي مصالحها الإستراتيجية. وفي ضوء تزايد معدلات الإنتاج العالمية، قامت شركات النفط في عام 1959 بخفض الأسعار المتدنية أصلا، وذلك دون الرجوع للدول المنتجة، ثم كررت العملية في عام 1960 بالرغم من احتجاجات الدول المصدرة للبترول. ولقد تسبب ذلك التصرف في إثارة غضب الدول المصدرة، مما دفعها لتكوين منظمة الأقطار المصدرة للنفط (أوبك) للدفاع عن مصالحها وحماية حقوقها والحصول على عائد عادل لصادراتها البترولية.

من ناحية أخرى، قامت الحركة الصهيونية بعد أدركت مدى أهمية أمريكا بالنسبة لأطماعها التوسعية بدراسة نظم حياة أمريكا بوجه عام، ونظامها السياسي والإعلامي بوجه خاص، وتشكيل لوبي للترويج لأهدافها وخدمة مصالحها. ولقد قام اللوبي بوضع خطة محكمة للتأثير في صنع القرار المتعلق بقضايا الشرق الأوسط عامة وقضية فلسطين خاصة. وخلال عقدين من الزمن، وبسبب غياب العرب الكامل عن ساحة العمل الأمريكية، استطاع اللوبي الصهيوني السيطرة على العديد من مراكز صنع القرار السياسي، والتسلل إلى أروقة الكونجرس والجامعات ومعاهد الدراسات، والتغلغل في مؤسسات الإعلام ومراكز صنع الرأي العام. وهذا جعل اللوبي الصهيوني يصبح أهم قوة ضغط في أمريكا، وأحد أهم المراجع التي لم يعد بالإمكان رسم سياسة شرق أوسطية دون الرجوع إليه وسماع وجهة نظره، وأحد القوى المشاركة في صنع وتوجيه الرأي العام. إلى جانب ذلك، قامت الحركة بإقناع غالبية يهود أمريكا بأن دعم الدولة اليهودية هو بمثابة بوليصة تأمين لهم ولأولادهم من بعدهم، وذلك لان إسرائيل، كما قالت الحركة الصهيونية، هي الملجأ الأخير والملاذ الآمن لليهود العالم. وفي المقابل، قامت المنظمات اليهودية الأمريكية بطرح مطلب دعم الكيان الصهيوني باعتباره دعما للقيم الغربية وتأمينا للمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط. ومن أجل تمكين يهود أمريكا من القيام بالمهام المنوطة بهم، تم تنظيمهم وتثقيفهم وتعزيز مصداقيتهم إعلاميا وسياسيا على الساحة الأمريكية.

إن كبر حجم الجالية اليهودية نسبياً (حوالي 7 مليون) وخبرتها الطويلة في العمل النقابي، وقيام إسرائيل بتسييسها، مكن صهاينة أمريكا من بناء أهم جمعيات الضغط الخاصة في تاريخ أمريكا. ولقد اتجهت تلك الجمعيات إلى العمل على تثقيف صانع القرار السياسي في واشنطن بما يتلاءم مع مصالح إسرائيل، والقيام بالمساهمة بسخاء في تمويل الحملات الانتخابية لمعظم المرشحين، والوقوف بشدة ضد منتقدي إسرائيل. وبسبب ما لتلك الجالية من تواجد كبير في مختلف وسائل الإعلام الأمريكية، فإن معارضتها لأي مرشح كانت تعني هزيمته في الانتخابات. وفي ضوء حرية العمل السياسي والإعلامي التي يصونها الدستور، وتقبل المجمع الأمريكي لمبدأ الرشوة السياسية، وحاجة المرشحين من رؤساء ورجال كونجرس لأصوات وتبرعات الناخبين وقوى الضغط الخاصة، غدت الحركة الصهيونية أهم القوى المؤثرة في سير ونتائج العملية الانتخابية. وحيث أن مبدأ المصلحة الخاصة هو أهم المبادئ التي تحكم العلاقات الاقتصادية والسياسية الأمريكية، فإن حفاظ المسؤولين على مناصبهم والطموحين على مستقبلهم فرض عليهم أن يكونوا أذانا صاغية لقوى اللوبي الصهيوني وأدوات طيعة في يدها توجهها كيفما شاءت. ولهذا قال أحد أعضاء الكونجرس حين حاول سفير عربي تذكيره بمبادئ الدستور الأمريكي: "إن قلبي معكم، لكن مستقبلي السياسي مع اللوبي الصهيوني."

للنشر يوم 3-7-2007

د. محمد عبد العزيز ربيع professorrabie@yahoo.com

Website: yazour.com

